مجلة

« البحث العلمي »

مأمون الصاغرجي

تلقت مؤخراً خزانة المجمع العددين ٣٩ و٤٠ من مجلة « البحث العلمي » التي يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي في الرباط للسنة الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين المؤرخَيْن في ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م و١٤١١هـ/١٩٩١م ، وهي تصدر ثلاث مرات في العام .

تعرض المجلة على صفحاتها موضوعات متنوعة مختلفة الاتجاهات ، من دراسات تاريخية ولغوية واجتماعية وأدبية ودينية ، إلى جانب التعريف بالكتب والمطبوعات الجديدة وعرضها على القراء .

فمن المقالات التي تضمنها العدد ٣٩ : « ابن هشام وصنيعه في السيرة النبوية » للدكتور عبد السلام الشكريوي (ص٤٥ – ٨٢) . مهد الكاتب لبحثه بإعطاء فكرة عن بدء التأليف في السير والمغازي ، والعلاقة القائمة بينهما ، ومدلولهما عند الأخباريين ، والفرق بين معنييهما ، وذكر من ألف فيهما من المؤرخين والعلماء . ثم وقف عند أبرزهم في هذا المضمار عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ ، فتحدث عن نسبه ونشأته ، ومن ترجم له من المؤلفين أو أغفل ذكره ، وأقوالهم فيه ، وإبرازهم مكانته العلمية . واستشهد الكاتب بنصوص من السيرة ، مدلّلاً على مساهمته في تهذيب سيرة ابن إسحاق وشرحها وتعليقه على الأشعار التي استنكرتها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلماء ، مبيناً وضعها وأسباب حذفه لها ، مما جعلها تعرف عند الناس بـ« سيرة ابن هشام » .

ويبين الكاتب في بحثه أن ابن هشام على الرغم من ذلك فإنه قد ذكر كثيراً من القصائد التي أنكرها هو نفسه ، ولكن صنيعه هذا يدل على أن همه كان مركزاً على أمر الاستدلال بالشعر على أطوار الصراع ونتائجه ، لا على صحة نسبته إلى قائله .

ثم يتحدث الكاتب عن مؤلفات ابن هشام مذكراً بأهميتها وروايتها وطبعاتها ، وأسهب في ذكر السيرة وشُرَّاحها ورواتها وعناية العلماء بها ومكانتها التاريخية والأدبية .

ومن مقالات هذا العدد « المقامة الكَنْسُوسية » لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الجعفري الكنسوسي ، نسبة إلى « إدَا أُكَنْسُوسْ » من سوس الأقصىٰ ، المتوفىٰ سنة ١٢٩٤هـ حققها الأستاذ أحمد متفكر (ص١٦٥ – ٢٠٠) .

يطَّلع القارئ في هذه المقامة على ثقافة الكنسوسي اللغوية ، وعلى لون الاهتمامات الأدبية في عصره ، وهو نوع من الأدب يحاكي فيه المؤلف أسلوب بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ، إذ يُظهر مقدرته على حشد الألفاظ اللغوية الغريبة ، مسجوعةً بعبارات أدبية .

قدم المحقق لهذه المقامة معرِّفاً المؤلف وقبيلته « تنمرت » ، ذاكراً تحصيله العلمي في مدينة فاس ، معدِّداً شيوخه الذين تلقىٰ عنهم العلوم المختلفة ، فظهر نبوغه المبكر وهو في ريعان شبابه في نظم الشعر الذي فاق أقرانه فيه ، وشهد له بذلك العلماء والأدباء ، وخلف آثاراً جليلة تدلّ على عمق ثقافته اللغوية ، نذكر منها : « تحقيق القاموس المحيط » في ثلاثة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلدات ، و« تصحيح الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم » ، وديوانه ، وكتباً أخرىٰ ذكرها الكاتب .

وأشار المحقق إلىٰ أن هذه المقامة قد طبعت في مجلة اللقاء المغربية (العدد ١٢ عام ١٩٦٩) غير أن ناشرها لم يفصح عن اسمه ولا عن المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق ، فوقع فيها أخطاء تاريخية وتصحيفات كثيرة ، وهذا ما دفع الأستاذ متفكر إلىٰ تحقيقها من جديد على مخطوطتين : إحداهما في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم ١٢٧٠ ؛ والأخرىٰ يملكها حفيد المؤلف الأستاذ أحمد الكنسوسي .

وإن القارئ المتأني لهذه المقامة يرىٰ أن المحقق قد تبع أحياناً الخطأ الموجود في النسخة المطبوعة التي رمز إليها بـ(ج) المشار إليها آنفاً ، مضرباً عن صواب النسختين اللتين اعتمدهما ورمز إليهما بـ(ا) و(ب) ، مثال ذلك قول المؤلف في مطلع المقامة : « إذْ لا يصبح عنان همتي إلا في يد الأفراح ، ولا يطفى[8] رائد مقلتي الاشعاع خد وراح » وعلق في الحاشية (8) بقوله : في (ا) و(ب) يطبي . فقوله : (يطَّبي) ، هو الصواب ، وينبغي فصل (إلا) عن (شعاع) ليصبح معنىٰ العبارة هكذا : لا يدعوني ولا يستميل عيني إلاَّ النور المنبعث من الخد والخمر .

ومثمة تصحيفات ربما كانت من أخطاء الطباعة منها قوله : « وأرشفت في أقدال[56] الجبال سهامها » إذ شرحها في الحاشية بقوله : « أقدال : رؤوس الجبال » . وعلى هذا الشرح يكون صواب العبارة هكذا : « ورشقت في قِلال الجبال سهامها » والقلال جمع قُلَّة ، وهي أعلى الجبل ، وتجمع على وزن (صُرد وجبال) كما في القاموس .

ومن المقالات التي تضمنها العدد (٤٠ سنة ١٩٩١م) : « أقدم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقش عربي في مالديف يتحدث عن المغرب » للدكتور عبد الهادي التازي (ص٧ – ٤٤) . يستهل الكاتب مقالته بالتعريف بموقع جزر مالديف ، فيذكر أنها تقع على بعد نحو من ٦٥٠ك . م جنوبي غربي سيلان (سيري لانكا) وأنها جزر كثيفة بلغت عدتها ١١٩٠ جزيرة بطول ٧٥٣ ك .م ، وعرض ١١٨ك .م وأن ابن بطوطة الرحّالة هو أول من يحدِّثنا عن وجود المسلمين في هذه الجزر ، ويعود له الفضل في إثبات تأريخ دخول الإسلام إليها عن طريق حاكمها الذي أسلم على يدي أبي البركات يوسف البربري المغربي سنة ٥٤٨هـ .

ويسرد الكاتب ما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، من أنه حينما دخل مالديف سنة ٧٤٤هـ حدثه الثقات أنه قدم إليهم أبو البركات البربري سنة ٥٤٨هـ فنزل بدار عجوز ، دخل عليها يوماً وقد جمعت أهلها وهنّ يبكين ، فتبين له من المترجم الذي أحضره أن أهل هذه الجزر يقدِّمون عند مطلع كل شهر ضحية من بناتهم الأبكار ، تقع عليها القرعة إلى عفريت يبدو أنه قرصان خبيث يأتي من جهة البحر ليلاً على مركب مُضاء إلىٰ معبدٍ لهم يضعون الضحية فيه ، فيفتضُّها ثم يقتلها ، وهم مستسلمون لهذا الأمر ، خائفون من بطشه بهم . عند ذلك طلب إليهم أبو البركات أن يوضع هو في المعبد عوضاً عن ابنة العجوز – وكان إماماً تقيّاً يحفظ القرآن ، متفقهاً على مذهب الإمام مالك – فجلس في المعبد يصلي ويتلو القرآن ، حتىٰ إذا أتى القرصان وسمع قراءته ولىٰ هارباً ، ففرحت أم البنت بنجاتها ، وشاركها أهل الجزيرة في ذلك ؛ ووصل الأمر إلى سلطان البلاد فسُرَّ بالخبر ، وطلب إلىٰ أبي البركات الإقامة شهراً آخر ليحمي بنات الجزيرة ويقضي على الكابوس المخيف وهذه العادة الردئية . ويستجيب أبو البركات لذلك ويعتنق الحاكم وأهل الجزر الإسلام بفضله ، ويبني هذا الحاكم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مسجداً ، ويتسمىٰ باسم « محمد بن عبد الله » .

ويذكر ابن بطوطة في رحلته أنه وقف على لوحة من خشب سُمِّرتْ على ناصية مقصورة الجامع الذي بناه السلطان ، وقد نقش عليها ما مضمونه : « إن السلطان أسلم على يد أبي البركات البربري ، ووصل إلىٰ هذا البلد .. وأسلم السلطان على يده في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمئة » . ويقول كاتب المقال : إن هذه اللوحة توجد اليوم ـ لحسن الحظ ـ محفوظة في المتحف الوطني للجمهورية المحلديبية في العاصمة (مالي MALE) .

ثم يتناول الكاتب الشخصيات المذكورة في هذا النقش الخشبي الذي رآه ، ويترجم لها بما توفر له من مصادر تاريخية ، وينحي باللائمة على المصادر والنقوش الأخرى التي نقلت عنه فحرفت النص ، فينتقدها ويخطِّئها ، إذ جعلت مكان (البربري) التبريزي ، بزيادة حرف على الاسم ، ومكان (أبي البركات) أبي الرِّكاب . وهذا يخالف ما جاء في نص ابن بطوطة والنقش الخشبي المحفوظ المشار إليه ، ويُضيِع الحقيقة .

ويختم الكاتب مقالته بأن الهدف منها إلقاء الضوء على هذه اللوحة المنقوشة التي تحمل معها حقائق تاريخية تدل على عظمة الإسلام ورسالته التي كسرت الحدود والسدود منذ أقدم العهود .

ومن مقالات هذا العدد أيضاً « الغناء في المنظور الإسلامي » للدكتور بنيونس الزاكي (ص١٥٣ ـ ٢٢٢) . مهد الكاتب لبحثه بإجمال قول المجيزين والمانعين للغناء في الإسلام ، فمثَّل للفريق الأول بنفر من الفقهاء من مثل ابن حزم والغزالي وعبد الغني النابلسي من القدماء ، وكل من الدكتور أحمد الشرباصي والدكتور يوسف القرضاوي من المُحْدَثين . كما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مثل للفريق الثاني بابن الجوزي وابن قيِّم الجوزيَّة من القدماء ، والشيخين أبي بكر الجزائري ومحمد الحامد من المُحْدَثين .

ثم تناول الكاتب بالتفصيل الحديث عن مجيزي الغناء ، فبدأ بتبيان منهج ابن حزم في الاستدلال على إباحة الغناء في كتابه « رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور » التي ألفها استجابة لرغبة أحد أصدقائه كما هو ظاهر في خطبتها . وقد درج ابن حزم في الانتصار لمذهبه على طريقة المحدِّثين بالنظر في الأحاديث النبوية جرحاً وتعديلاً . ويسوق الكاتب الأحاديث الاثني عشر التي وردت في منع الغناء ، ثم يعقّب بأقوال ابن حزم على كل واحد منها بالتوهين والطعن سنداً ومتناً . كما ساق أيضاً الأحاديث التي أفادت إباحة الغناء وهي ستة أحاديث . ويذكر الكاتب بعد ذلك مآخذ العلماء على ابن حزم في توهين حديث البخاري بأنه منقطع ، منهم ابن الصلاح في « المقدمة » وابن القيم في كتابه روضة المحبين ، بأنه لا يُلتفت إلىٰ رأي ابن حزم ، وأن حديث البخاري موصول معروف عند المحدِّثين بالاتصال .

ومن الفريق الأول أيضاً الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، إذ عقد فصلاً فيه عن آداب السماع والوجد ، فنقل الكاتب رأيه في أن الأمر منوط بمعرفة النص الشرعي أو القياس على النص . ويسوق الكاتب النصوص التي استدل بها الغزالي سواء في القرآن أو السنة ، وهي فيما يبدو لم يكن قد استشهد بمعظمها مَنْ سبقوه ممن أباحوا الغناء ، ففسَّرها تفسيراً يغلب عليه العقل والمنطق . وقد قيد هذه الإباحة التي ذهب إليها بقيود خمسة سماها العوارض ، إن وجدت فالسماع فيها حرام . وكما لم يسلم لابن حزم احتجاجه لم يسلم للغزالي احتجاجه أيضاً ، إذ عقب عليه ابن الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وينتقل الكاتب إلىٰ المتأخرين ممن أباح الغناء ، فيذكر منهم الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفىٰ سنة ١١٤٣هـ في كتابه « إيضاح الدلالات في سماع الآلات » ، ويوضح منهجه في الكتاب ، ويسوق أدلته وردَّه على ابن حجر الهيثمي في رسالته « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » ، ويذكر الكاتب من المُحْدَثين ممن أباحوا الغناء ثلاثة ، وهم الشيخ شلتوت والدكتوران أحمد الشرباصي ويوسف القرضاوي ؛ فالأول في كتابه « الفتاوي » تحت عنوان الشريعة تنظم الغريزة . والثاني في كتابه « يسألونك في الدين والحياة » في سؤال عن ألوان الغناء . والثالث في كتابه « الحلال والحرام » ويسوق رأي كل منهم ، مجرّداً من النصوص ، بيد أنهم فيما بدا لي قد عوَّلوا على رأي الغزالي وتعليلاته المنطقية .

ثم يأتي الكاتب على ذكر الفريق الثاني ما نعي الغناء ، فيبدأ بابن الجوزي الذي أفرد للسماع بحثاً مستفيضاً في كتابه « تلبيس إبليس » فيبين منهجه في الاحتجاج لمذهبه في منع الغناء ، وأنه تناول المسألة تناولاً مجرداً عن أي حكم مسبق ، فذكر ما كان عليه أهل مكة والمدينة من حدائهم الإبل وتناشدهم الأشعار في الأفراح والحج والحرب ، ثم يسوق أدلته القرآنية والحديثية ، ثم ردوده على مجيزي الغناء ممن تقدموه . وبالأسلوب نفسه يسوق الكاتب رأي ابن قيم الجوزية في كتابه « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » . وكذا يسوق أدلة ابن حجر الهيثمي في كتابه « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » .

أما رأي المُحْدَثين ممن منعوا الغناء فيذكر الكاتب منهم أبا بكر الجزائري ، ويضرب عن ذكر رأي محمد الحامد الذي أشار إليه في صدر بحثه لأمر نجهله ؛ وأبو بكر الجزائري أفرد رسالة خاصة سماها « الإعلام بأن العزف والغناء حرام » تصدى فيها لما كان ينشره كاتبان مجهولان في جريدتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عكاظ والرائد من أن الغناء مباح شرعاً ولم يرد نص بتحريمه .

ويختم الكاتب بحثه بتقريب وجهة النظر بين الفريقين ، ويبدو له أن الخلاف يسير بينهما لأن القيود التي وضعها المجيزون هي نفسها المحاذير التي نبه على خطورتها المانعون ، فعلى هذا يقول : « إذا كان مذهب القائلين بالجواز أرخص وأقوم فإن منحىٰ المانعين أحوط وأسلم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net